بعد حرب لبنان. ويتألف هذا الجزء من خمسة فصول تركز، اساساً، على ثلاثة مسارات متوازية، هي : الصراع الفلسطيني الداخلي، والخلاف السوري ـ الفلسطيني، والعلاقات الاردنية ـ الفلسطينية.

يتولى المؤلف، بداية، في الفصل الرابع، موضوع «المعتدلون والرافضون داخل م.ت.ف: القضايا المثيرة للانقسام والبحث عن الوحدة الوطنية»، فبين، اولاً، بروز مرحلة جديدة، في اعقاب الحرب، تحمل في طياتها فرصاً وامالاً هامة لتقدم العمل السياسي الفلسطيني لدى مختلف الفئات. فقد اتفق الجميع، اساساً، على اهمية حفظ الاجماع والوحدة في ذلك الظرف، وصون مكانة م.ت.ف. مما وفّر لقيادة م.ت.ف. المجال للملمة الصفوف واسترجاع المبادرة المعنوية والدبلوماسية، لكن احاطت بتلك القيادة، ايضاً، ظروف صعبة، تمثلت في تشتيت قواتها و اداراتها وتكبيدها الخسائر، مما جعلها اكثر عرضة للضغوط والرغبات العربية، وخصوصاً السورية؛ وادى ذلك، بدوره، الى تباين في الآراء حول طرق معالجة المستجدات: هل بتمتين العلاقات مع الاردن ومصر ومن خلفهما ؟ ام بتعميق الاتكال على سوريا ؟ يرى سحلية ان جوهر الخلاف دار بين من أراد اتباع الدبلوماسية والمفاوضات كأداتين واقعيتين لتقديم الطموحات الوطنية الفلسطينية، وبين من ظل يحمل الاوهام الكثيرة حول فائدة وعلاقة الكفاح المسلح لتحرير فلسطين (ص ٩٠).

ففي نظر المؤلف، لقد عززت وقائع ونتائج حرب لبنان، وخصوصاً موقف الحياد العربي، اعتقاد بعض المسؤولين الفلسطينيين بعدم جدوى الاعتماد على الخيار العسكري. وقد برز هؤلاء خصوصاً في داخل «فتح» التي طالما مثلت ثقل التنظيمات الفدائية، علماً بأن قلائل فقط قبلوا بفكرة التخلي الكامل عن العمل المسلح كوسيلة ضغط. وقابل هؤلاء آخرون في «فتح » ممن ارادوا التراجع عن النشاط الدبلوماسي، وخصوصاً منه ما ادى الى التفاوض مع اسرائيل او حتى الولايات المتحدة، والى التنسيق مع «الرجعيات العربية». واذ يستعرض سحلية مواقف كل طرف، فإنه يفعل ذلك بتوازن وموضوعية عالية تخلو من الاستنتاجات المسبقة او السريعة. لكنه لا يركز، كفاية، على حقيقة موضوعية هامة، هي ان العديد من «الرافضين» قد وافقوا، منذ زمن، على مبادىء التفاوض والاعتراف المتضمنة في مقترحات بريجنيف وفاس، مما يعكس، بدوره، حقيقة اخرى هي ان كثيرين ممن نادوا بالكفاح المسلح لم يخططوا او ينظروا له ولم يمارسوه. وخلاصة، فإن ما حفظ تماسك م.ت.ف. خلال الشهور الستة الاولى الحساسة التي اعقبت مغادرة بيروت، كان «مكانة عرفات الشخصية، مهاراته ومناوراته الدبلوماسية، والثقل السياسي لتنظيمه ' فتح ' ، مما سمح له، الى حد ما، بفرض تفضيلاته السياسية على بقية المنظمة» (ص ٩١). وتتوجت هذه العملية ـ اي الخلاف والجدال اللذان أديا الى الحل الوسط الذي جسدّ تفضيلات القيادة ومعها الحدود والقيود الكامنة التي فرضها «الرافضون» ـ في دورة المجلس الوطني الفلسطيني السادسة عشرة في الجزائر. وبصدد ذلك، يرى سحلية ان المجلس عجز عن تقديم البدائل او استراتيجية عمل، وذلك لانه انتهى الى قرارات وتوصيات حاولت ان ترضي الجميع، فلم تلبِّ احتياجات احد. ويضيف ان برنامج «اللانشاط» الصادر عن المجلس جاء، ايضاً، في وقت ثبت عدم امكان تنظيم العمل المسلح داخل الارض المحتلة، علماً بأن اعتقاده هذا ناقضه نمو ذلك العمل في العامين ١٩٨٤ و ١٩٨٥.

يشكل الفصل الخامس، بعنوان «الحوار الاردني ـ الفلسطيني»، احد اهم اجزاء الكتاب، نظراً الى عمق ودقة ملاحظاته حول خاصية العلاقة بين المملكة الاردنية و م.ت.ف. (او اي اطار تنظيمي مؤسسي فلسطيني ذي صفة كيانية). فالاردن يتسم بأهمية خاصة بسبب وجود اكثرية فلسطينية فيه، واشتراكه في اطول الحدود البرية مع فلسطين/ اسرائيل، وقربه من سكان المناطق المحتلة وتمتعه بالجسور المفتوحة معهم. وتتسم «حقبة الاردن» بأهمية خاصة، ايضاً، في تاريخ تطور حركة المقاومة الفلسطينية، وفي تقرير مستقبل الضفة الغربية، ولذلك، فمن شأن اية دراسة كفؤة للعلاقات الاردنية ـ الفلسطينية ان تكشف اهم مزايا وقوانين علاقات الحركة الوطنية المسلحة الفلسطينية واهم خواصها.

ينطلق سحلية بمناقشة الخلفية التاريخية للعلاقة بين الاردن و م.ت.ف. ليفسر توجه المنظمة، في حقبة ما بعد بيروت، نحو الاردن بسرعة وباصرار، وليوضح اسباب مركزية الاردن في تطورات الساحة الفلسطينية وميدان الصراع العربي ـ الاسرائيلي؛ والا، فسوف يتساءل المرء: ماذا يرغم القيادة الاردنية على استقبال رجال